Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم «الواقعي» ذي المرجعية. ذلك هو السبب الذي يدعونا إلى الاستمرار في الكلام على أفرادٍ وخاصياتٍ، حَتَّى لو اقتضى الأمر أن تظهر الخاصِّيات وحدها بمثابة أَوَّليات. ذلك أَن أفراد العوالم الحكائية يمثُلون لنا باعتبارهم قائمين مسبقاً وكلّ نقاش حول الظروفِ الإبيستمولوجية التي أدَّت إلى بنائهم إنما تُعزى إلى نماذج أخرى منَ الأبحاث تُعنى ببنيانِ عالم اختبارنا. وليس من قبيل الصدفة أَن هنتيكّا (١٩٦٩أ) كان عمد إلى ربط مسألة العوالم الممكنة بالمسائل الكنطية حولَ إمكانية بلوغ التعريف الشيءَ (المعرَّف به) في ذاته.

٨- ٤- بنيان عالم المرجع:

في إطار مقاربة العوالم الممكنة من وجهة **بنائيّة**، ينبغي لعالم المرجع «الواقعي» نفسه أَنْ يُنظر إليه على أنَّه بنيان ثقافي، ليس إلاَّ. فنحن، إذ نكونُ إزاءَ حكاية «ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة» المثل، ونطلقُ صفة «المنافية للواقع» على خاصِّية بقاء الأفراد أحياءَ بعد أن يكون الذئب قد التهمهم أفراداً، فلأننا نلاحظ، وإنْ حَدْسياً، بأن هذه الخاصية إنما تناقِضُ المبدأ الثاني في المجالِ الدينامي ـ الحراري. غير أن مبدأ الدينامية ـ الحرارية الثاني هذا يتبدَّى، بحقٍّ، مُعطًى من معطياتِ موسوعتنا. وقد يكفي إبدال الموسوعة حَتَّى يكون معطى مختلف جديراً بالاعتبار. فالقارىء القديم حين تراه يقرأ أن يونان ابتلعَهُ الحوتُ وظَلَّ ثلاثة أيام في جوفِه ثم خرج سالماً منه، لَنْ يحكم على ما قرأ باعتباره مخالفاً لموسوعته. ولئن كانت الأسباب التي تحدو بنا إلى اعتبار موسوعتنا (المعاصرة) أفضل من موسوعة القارىء القديم ذاك، أسباباً خارجةً عن السيمياء (فعلى سبيل المثال حين نظنّ أننا باعتمادنا موسوعتنا، ننجح في تمديد معدَّل الحياة و/أو بناء مفاعلات نووية)، فإنه منَ الأكيد أنَّ قصة «ذات القلنسوة الحمراء الصغيرة» حالما يقرؤها القارىء القديم يعدُّها محتملة الصدق، باعتبارها موافقة لقوانين العالم «الواقعي»[٥] على ما بلغه إدراكه.

لا تنحو هذه الملاحظاتُ إلى جعل العالم «الواقعي» عبثاً، بصورة مثالية، إذْ تؤكد أَنَّ الواقع إن هو إلاّ بنيانُ ثقافي (حتى لو لم يكن شكٌّ